



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

Fatima Sameer Majeed

Dr. Mahmoud Hmoud
ArrakWasit University
College of EducationEmail:
rs39cj@gmail.com**Keywords:****Approaches ,
preceding , delay****Article info****Article history:**

Received 15.JUL.2023

Accepted 18.AUG.2023

Published 10.FEB.2024

**Grammatical Approaches in the Reasons of Qu'ranic Expression
for Modernists -The preceding and delay****A B S T R A C T**

The Arabic language is distinguished from other languages in that it is an Arabized language. Syntax has a great impact on the performance of the meaning, in addition to that it has the advantage of giving the word laxity in composition in terms of preceding and delay without the word losing its function, preceding and delay is a color of language laxity and a characteristic of Its characteristics, and Dr. Omar Abd al-Majid al-Bayanouni mentions that the concept of preceding and delay is: "fearing the original order of speech, and Dr. Salih Al-Shaer spoke about this and said: By precedence and delay, it is intended that the elements of the composition contradict their original order in the context, so that what is the principle precedes that it is delayed, and that which is delayed is what is the principle that precedes it. And the ruler of the original arrangement between two elements differs if the arrangement is necessary or not necessary" (Al-Bayanouni 16), the sayings of the moderns about the concept of preceding and delay are almost similar by changing the order of the elements of the original sentence, whether it is in the nominal or actual sentence, and this means that what is meant by the preceding and delay That there is a goal or significance behind presenting some parts of the sentence, and the Holy Qur'an was keen to present some words over others, because when the word takes precedence over the other, it follows a psychological approach and becomes the axis on which the moderns revolves.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol54.Iss1.3604>

المقاربات النحوية في علل التعبير القرآني عند المحدثين

التقديم والتأخير في بعض المنصوبات . مثلاً

الباحثة: فاطمة سمير مجيد أ.د. محمود حمود عراك

جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث:

انمازت اللغة العربية عن غيرها من اللغات بأنها لغة معربة، فلإعراب أثر كبير في تأدية المعنى، فضلاً عن إن له ميزة تتمثل في إعطاء الكلمة حرية في التركيب من حيث التقديم والتأخير دون أن تفقد الكلمة وظيفتها، والتقديم والتأخير هو لون من ألوان حرية اللغة وخصيصة من خصائصها، ويذكر الدكتور عمر عبد المجيد البيانوني أن مفهوم التقديم والتأخير هو: "مخافة الترتيب الأصلي للكلام، وقد تحدت الدكتور صالح الشاعر عن هذا فقال: يراد بالتقديم والتأخير أن تخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم. والحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين ويختلف إذا كان الترتيب لازماً أو غير لازم" (البيانوني، ١٦)، تكاد تتشابه أقوال المحدثين حول مفهوم التقديم والتأخير من خلال تغيير ترتيب عناصر الجملة الأصلي سواء أكان في الجملة الاسمية أم الفعلية، وهذا يعني أن المقصود من التقديم والتأخير أن هناك هدفاً أو مغزى من وراء تقديم بعض أجزاء الجملة وقد حرص القرآن الكريم على تقديم بعض الكلمات على بعض؛ لأنه عندما تتقدم الكلمة على الأخرى تكون تابعة لمنهج نفسي ويكون المحور الذي يدور عليه الحديث.

الكلمات المفتاحية: المقاربات، التقديم، التأخير

المقدمة:

أما بعد... ففضية البحث في علل التعبير القرآني جاءت أهميته لارتباطه بكتاب الله (عز وجل) ارتباطاً وثيقاً، فهو يكشف عن الغايات والمقاصد التي سبق من أجلها التعبير القرآني، ويبحث في الظواهر التركيبية التي تبين وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني، ومن ثم تشكلت رؤية حول دراسة علل التعبير القرآني لمعرفة ما يمتاز به القرآن الكريم من عمق دلالي وقصدي، وكان التركيز حول المحدثين؛ لأنهم وُصفوا بالتجديد في دراسة علل التعبير القرآني وتفسير القرآن الكريم، وبيان أثر ذلك التجديد في نظرتهم إلى تلك العلل والمقاربات فيما بينهم؛ لتزرع في النفوس معرفة أسرار التعبير القرآني ويُنتفع بها في مجالات شتى، فأهل البراعة في اللغة العربية بحاجة إلى معرفة ما يمتاز به التعبير القرآني من خصائص على مستوى المفردات أو التراكيب؛ ليعبروا بمعانٍ جديدة في مجال تخصصاتهم؛ وهذا مما يدل على أهمية الموضوع، وتهدف هذه الدراسة إلى التحقق من معرفة المقاربات في علل التعبير القرآني التي اهتم بها المحدثون، وأيضاً تحقيق الرغبة الذاتية للباحث وهي التنعم والتفكير في القرآن الكريم ومعرفة دقائق و أسرار التعبير القرآني، وكذلك إثراء الخزين المعرفي حول اتساع اللغة العربية في دلالة ألفاظها وصياغة أساليبها من تدبر كتاب الله الكريم، وقد اعتمدت في دراستي على المنهج الوصفي التحليلي في الكشف عن العلل التي أدرجها المحدثون، وهذا التطبيق لا يخلو من تحليل الآراء ومناقشتها والموازنة بينها، وذلك من خلال عرض آراء المحدثين ومعرفة المقاربات النحوية فيما بينهم، فضلاً عن آراء القدماء، فمن المحدثين من وافق القدماء في رأيهم وتابعهم، ومنهم من انفرد بآراء خاصة حول هذه العلة أو تلك، ومن ثم بيان الآراء والوقوف على الأصوب منها.

وختاماً أقول: أتمنى أن تنال هذه الدراسة مجالاً وقبولاً واسعاً لدى طلاب العلم والدارسين، وتترك أثراً ولو كان قليلاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والله ولي التوفيق.

مظاهر التقديم والتأخير في بعض المنصوبات:

يتقدم المفعول به كثيراً سواء أكان على الفعل أم الفاعل في القرآن الكريم، وقد تحدّث الكثير من العلماء في هذا الموضوع، فمثلاً يقول الدكتور خليل أحمد عمارة: "قمتي ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختصّ بفائدة، لا تكون تلك الفائدة مع التأخر، فقد يجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلّ حال... وقد جاء التقديم والتأخير في كلام العرب وأشعارهم كثيراً فضلاً عما جاء منه في أروع كتاب بياني عرفته العربيّة (القرآن الكريم)، فجاء التقديم على صور متعددة، منها تقديم المفعول على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل... ووراء كلّ تقديم غرض يتعلّق بالمعنى" (خليل أحمد عمارة، ٩١)، فتقديم المفعول به عن رتبته ولا سيما تقدّمه على الفعل الذي هو صدر الجملة الفعلية ينبغي أن يكون من وراء تقدّمه غرض معيّن كالتخصيص والاهتمام والعناية وغيرها من الأغراض، وسأبيّن في هذا البحث أهمّ الآيات التي تقدّم بها المفعول به على الفعل من جهة، وعلى الفعل والفاعل من جهة ثانية.

١. تقديم المفعول به على الفعل:

قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة، ٥)، وهي من الآيات الأكثر وروداً وشاهداً على تقديم الاسم على الفعل ولقد وردت هذه الآية كثيراً في كتب المحدثين، إذ تحدّثوا عن تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معاً ويجب أن يكون هناك غرض من وراء هذا التقديم (ينظر: السامرائي، ٤٩، ١٣، ١٥٥/١، ٥٩/٢، ٨٨، ٨٧، ومحمّد السيّد شيوخ، ٨٢، وأحمد بدوي، ٩١، وجمال محمود أبو حسون ٢٢٠، وتّمّام حسّان ٩٤، وغادة البوّاب ٩٥، والشرقاوي ١٩٤، ١٩٣، وعبد العزيز عتيق ١٤٢، وأحمد مطلوب ١٧٢، والبيانوني ١٧٢، ولاشين ١٩٧)، يقول الدكتور فاضل السامرائي إنّه إذا تقدّم المفعول به على فعله أفاد ذلك الاختصاص أي بمعنى أنّ فعل العبادة مختصّ بالله تعالى وحده فلا يُعبد أحد غيره (ينظر: السامرائي ٤٩، ١٣، وأحمد مطلوب ١٧٢، وفضل حسن عبّاس ٣٨٢/١، وتوفيق الفيل ١٣٣، وعبد المتعال الصعيدي ٨١)، وقد ذكر القدماء أيضاً بخصوص هذا الموضوع، فقال السيوطي (ت ٩١١هـ): "كاد أهل البيان يطبقون على أنّ تقديم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً، ولهذا قيل في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥] معناه نخصّك بالعبادة والاستعانة" (السيوطي ٥٢٤، والبيانوني ١٧٢، والسامرائي ١٥٥/١)، ويقول الدكتور منير محمود: "إذا قدّم المفعول ونحوه. كالظرف والحال. وغيرهما على الفعل إنّما يكون إذا كان هناك وجود فعل، واعتقد المخاطب وقوعه على غير من وقع عليه وتريد رده من الخطأ ذلك إلى الصواب، كان تقديمه للقصر غالباً ومنه قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) الفاتحة: ٥ (منير المسيري ٧٦)، وهنا قصر العبادة والاستعانة على الله تعالى وحده، وتذكر عادة أحمد البوّاب أنّه لو تأخّر المفعول (إِيَّاكَ) وهو ضمير منفصل مبني في محل نصب مفعول به مقدم، لزم الاتّصال وكان يجب أن يُقال (نعبدك) فوجب التقديم (ينظر: غادة البوّاب ٩٥)؛ لأنّ نعبدك معناه نعبدك أنت وغيرك على العكس من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) أي نخصّك وحدك بالعبادة وتستشهد بمثل وهو: "إِيَّاكَ أعني واسمعي يا جارة" (العسكري ٢٩/١)، إذ تقدّم هنا (إِيَّاكَ) وجوباً؛ لأنّه ضمير منفصل وهو بهذا يحصر المفعول به حصراً لا شكّ معه ولا يشركه فيه أحد ولذلك قدّمه على الفعل والفاعل، ولو أُجّر لتلاشى الحصر وتغيّر المعنى (ينظر: غادة البوّاب ٩٥، وتّمّام حسّان ٩٤/٢، وحمود العاني ٣٠، وأحمد فرجي ٨٤).

وينكر الدكتور فاضل السامرائي يُقال لمثل هذا التقديم إنّه يزيل الوهم من ذهن المخاطب، فضلاً عن القصر والاختصاص (ينظر: السامرائي ٥٩/٢، ٨٧، ٨٨)، وأفاد إنّ تكرير (إِيَّاكَ) مع فعل الاستعانة يفيد التخصيص على حصر الاستعانة به، فلو قال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَنَسْتَعِينُ) لأفاد أنّه يخصّه بالعبادة دون الاستعانة نصّاً، بل لم يعيّن الذات التي يستعين بها أيضاً، فضلاً على أنّ تكرير (إِيَّاكَ) من الاهتمام والقوة ما ليس في الحذف (ينظر: السامرائي ٤٢، ٤١).

ويذكر الدكتور جمال حمود أبو حسان وعبد العزيز عتيق أنّها مثال قرآني تتسم فيه سمة أخرى غير الاختصاص والقصر أو العناية والاهتمام ولا ينبغي أن يصدّ الباحث عن التفكير في وجوه معنوية أخرى يظهر بها سمو الاعجاز القرآني وهو حسن النظم أي مراعاة الفاصلة القرآنية (ينظر: جمال حمود ٢٢٢، وعبد العزيز عتيق ١٤٢).

وقد أفاض الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عن هذا الموضوع كثيراً في كتابه، فقال: " وإياك ضمير خطاب في حالة النصب والأظهر أنّ كلمة (إيا) جُعِلَتْ لِيَعْتَمِدَ عليها الضمير عند انفصاله ولذلك لزمته الضمائر نحو: إِيَّايَ تعني، وإياك أعني، وإياهم أرجو..." (ينظر: ابن عاشور ١/١٨٦، ١٧٧)، وأشار الشيخ محمد الصابوني إنّ في هذه الآية النقات من الغيبة إلى الخطاب ولو قال (إياه نعبد) لجرى الكلام على الأصل وتقديم المفعول يفيد القصر أي لا نعبد سواك (الصابوني ١/٢٦، والاندلسي ١/٤٢).

وكذلك الحال في قوله تعالى ﴿وَإِيَّايَ فَازْهَبُون﴾ (البقرة ٤٠)، إذ وردت شاهداً على تقديم المفعول به (إيائي) على الفعل وقدم أيضاً للاختصاص (ينظر: جمال حمود ٢٢٢، واليبانوي ١٨٩، ٩٧، ٨٧)، فإنّ (إيائي) ضمير منفصل بارز وجب تقديمه هنا في هذه الآية وهو في محل نصب ونصبه بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور، والتقدير يكون: وارهبوا إيائي فارهبون، وقد قدر متأخر عنه؛ لأنّ تقديره متقدماً لا يحسن انفصاله (أحمد فرجي ٨٥، ٨٤)، فيقول ابن عاشور: "تقديم المفعول هنا متعين للاختصاص ليحصل من الجملة اثبات ونفي واختير من طرق القصر طريق التقديم دون ما و إلا ليكون الحاصل بالمنطوق هو الأمر برهبة الله تعالى... وتقديم المفعول مع اشتغال فعله بضميره أكد في إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره، فإيائي ارهبون أكد من نحو إيائي ارهبوا... ووجهه عندي أنّ تقديم المفعول يحتمل الاختصاص، إلا أنّ الأصل فيه أن يدلّ على الاختصاص إلا إذا قامت القرينة على التقوى فإذا كان مع التقديم اشتغال الفعل بضمير المقدم نحو (زيداً ضربته) كان الاختصاص أوكد أي كان احتمال التقوى أضعف وذلك لأنّ اسناد الفعل إلى الضمير بعد اسناده إلى الظاهر المتقدم يفيد التقوى فتعين أنّ تقديم المفعول للاختصاص دون التقوى..." (ابن عاشور ١/٤٥٥، ٤٥٤)، ويذكر الدكتور أحمد عبد الله حمود العاني أنّ هذه الصيغة جاءت لتقوية الغرض وتأكيده، سواء أكان لغرض الاختصاص أو العناية والاهتمام بالمتقدم (ينظر: أحمد العاني ٣٤).

وأيضاً ورد في قوله تعالى ﴿بَلِ اللّٰهِ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ﴾ (الزمر ٦٦)، إذ تقدّم هنا لفظ الجلالة (الله) على فعله وهذا التقديم يفيد الاختصاص كما في الآيات السابقة المشابهة لها (ينظر: السامرائي ٤٩، ١٣، ٨٩/٢)، وعبد العزيز عتيق ١٤٢، وأحمد مطلوب ١٧٢)، يقول أحمد مطلوب: "فإنّه إنّما قيل (بل الله فاعبد) ولم يقل (بل اعبد الله)؛ لأنّه إذا تقدّم وجب اختصاص العبادة به دون غيره، ولو قال (بل اعبد) لجاز إيقاع الفعل على أيّ مفعول شاء" (أحمد مطلوب ١٧٢)، قال الدكتور عبد الخالق عضيمة: "الفاء في نحو (بل الله فاعبد) جواب لأما مقدّرة عند بعضهم، وفيه إجحاف، وزائدة عند الفارسي وفيه بعد، وعاطفة عند غيره، والأصل تنبه فاعبد الله، ثمّ حذف تنبه وقدم المنصوب على الفاء اصلاً للفظ، كيلا تقع الفاء صدرّاً كما قال الجميع في نحو: أما زيدا فاضرب" (عضيمة ٩/١٧٤).

ومن الآيات التي ورد فيها التقديم والتأخير ولكن ليس من باب الاختصاص قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس ٣٩)، فهذا التقديم ليس من باب الاختصاص كما هو مذكور وإنّما من أجل مراعاة الفاصلة ومراعاة نظم الكلام (ينظر: السيّد شيخون ١١٥، وأحمد بدوي ٩٢، وعبد العزيز عتيق ١٤٣، والمطعني ١٢٦/٢)، وقدم المفعول به (القمر) على الفعل، إذ إنّ الهاء في (قدّرناه) ضمير غائب يفسره القمر وهو متقدّم في اللفظ والرتبة (ينظر: المسيرري ٨٩)، ومعنى أنّه اقتضى حسن النظم ليكون الجميع على نسق واحد في النظم أي تبدأ الجمل كلها بالأسماء المناسبة (أحمد بدوي ٩٢)، كقوله تعالى ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدْرَنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)﴾ (يس ٣٩، ٣٧)، وقد ردّ الدكتور فضل حسن

عبّاس على كلام مَنْ قال بأنّ هذا التقديم جاء لمراعاة الفاصلة، إذ قال: "ولا تلتفت إلى ما يُقال من أنّ هذا التقديم لرعاية الفاصلة، فمع تقديرنا لجمال الإيقاع، وحلاوة الجرس، لكنّه في كتاب الله تعالى لن يستقلّ بتقديم أو تأخير، أو حذف أو ذكر، وإنّما . إن كان ذلك . فلا بُدّ أن يكون تابعاً لمعنى أرادَه القرآن الكريم" (فضل حسن عباس ٢٣٦)، وهو مع هذا التحذير حذر مرّة ثانية من عدّ الفاصلة من مقتضيات التقديم والتأخير، و وافقه الدكتور عبد الله حمود العاني بأنّه وإن قيل أنّ هذا التقديم جاء لمراعاة نسق الكلام لأنّها سبقت بآيات تضمّنت مثل هذا التقديم، وهو يرى فضلاً على ذلك مراعاة العناية والاهتمام بتأكيد، فإنّ تقدير القمر منازل هو محطّ أنظار الناس من حوله، فتقدّم ذكره عناية واهتماماً وأُعيد ذكره بضميره لتأكيد العناية والاهتمام (ينظر: حمود العاني ٣٦، ٣٥)، ويبدو لي إنّ ما جاء به الدكتور فضل حسن عباس وتابعه الدكتور عبد الله حمود العاني هو الصواب في ذلك؛ لأنّه على الرغم من حلاوة الجرس الإيقاعي في تناسق الآيات واختتامها بحروف مناسبة للكلمة السابقة لها فلا بُدّ أن يكون هناك مغزى وهدف قدّمت فيه هذه اللفظة ولم تأت في ترتيبها الأصلي المعهود عليه.

ونظير هذه الآية ما جاء في قوله تعالى ﴿خُدُوهُ فَعُلُوهُ﴾ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلْوُهُ ﴿﴾ (الحاقة ٣١، ٣٠) ، هنا تقدّم المفعول به (الجحيم) على فعله، وقد قال أكثرهم إنّه ليس من باب الاختصاص وإنّما من مراعاة حسن النظم أي الفاصلة القرآنيّة؛ لأنّ الآيات جرت على نسقٍ واحد من هذه الحروف، فتقدّم الجحيم للفاصلة وليس المراد الردّ على مَنْ يعتقد أنّه يصلي غير الجحيم حتّى يكون التقديم للاختصاص (ينظر: السيّد شيخون ٧٥، وأحمد بدويّ ٩١، وعبد العزيز عتيق ١٤٣، وأحمد مطلوب ١٧٤، وجمال محمود أبو حسان ٢٤٤، والميدانيّ ٣٨٩/١)، وقال ابن عاشور: "وتقديم (الجحيم) على عامله لتعجيل المساءة مع الرعاية على الفاصلة... (ابن عاشور ١٣٨/٢٩) ، و وافقهم الدكتور محمّد عبد المطلب بأنّ هذا السياق جاء على وفق نسق يسمّى (رعاية الفاصلة) وقد دارت سياقات التقديم والتأخير حول الرتب المحفوظة عند النحاة، وإدراك البلاغيين لهذه الحقيقة النحويّة أتاح لهم أن يضيفوا إلى مباحثهم بعداً جمالياً في تركيب الكلام (ينظر: محمّد عبد المطلب ٣٣٧)، في حين أنّ الدكتورة رجاء عيد قالت: "ترفض ما زعموه من أنّ التقديم قد يكون لرعاية الفاصلة... وإنّما . في رأينا . أنّ التقديم هنا له دلالة بلاغية للتأثير في سرعة بيان المصير السيء الذي يتربص لهذا الذي (أخذ) فرغ" (رجاء عيد ٧٨) ، و وافقها الدكتور فضل حسن عباس في تقديم المفعول في هذه الآية ليس من اجل رعاية الفاصلة، بل هناك غايات تتصل بالمعنى (ينظر: فضل حسن عباس ٢١١)، فهذه الآية هي نظير الآية التي سبقتها ولها نظائر كثيرة في القرآن الكريم ونخلص أنّ أهميّة التقديم والتأخير تكمن في مرونة العربيّة وقوّة بيانها ودقّة التعبير فيها والدلالة على الفصاحة وتوسيع القدرة على التخاطب وقدرتها وتفوقها على غيرها من اللغات.

ومثلها ما ورد في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿﴾ (الضحى ١٠، ٩)، إذ ورد تقديم المفعول به (اليتيم والسائل) على فعلهما وهذا التقديم يكون من بابين أو أمرين أحدهما أنّه قدّم للاهتمام والتوجيه، والآخر أنّه قدّم لمراعاة الفاصلة القرآنيّة وحسن نظم الكلام (ينظر: السامرائي ٩١/٥١، ٩١، وأحمد بدويّ ٩١، وغادة البوّاب ٩٥، والجيوسيّ ٣٠٥، وأحمد مطلوب ١٧٢، والمسيريّ ٩٧)، فهنا التقديم وجوباً كما ذكرت الدكتورة غادة أحمد البوّاب ليكون فاصلاً بين أمّا والفعل؛ لأنّ الفعل وخاصّة المقرون بفاء الجزاء لا يلي (أمّا) (ينظر: غادة البوّاب ٩٥، وأحمد فرجي ٨٥).

وذكر الدكتور منير محمود بخصوص هذه الآية فقال: "أن يقع عامله بعد الفاء وليس له منصوب غيره مقدّم عليها" (منير المسيريّ ٩٧)، ويقول ابن عاشور: "واليتيم مفعول لفعل (فلا تقهّر) وقدّم للاهتمام بشأنه ولهذا القصد لم يؤت به مرفوعاً وقد حصل مع ذلك الوفاء باستعمال جواب (أمّا) أن يكون مفصلاً عن (أمّا) بشيء كراهية موالة فاء الجواب لحرف الشرط" (ابن عاشور ٤٠١/٣٠)، وذكر الدكتور فضل حسن عباس أنّه "لا مانع من أن تحمل على التخصيص كأن

قيل: إذا كان لا بُدَّ من قهر ونهر، فحذارٍ أن يكون لليتم والسائل وهكذا يُقال في المواضع الأخرى... (فضل حسن عباس ٢٣٦).

وكذلك الحال في قوله تعالى ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ (المذثر ٥، ٣)، إذ تقدّم لفظ (رَبِّكَ، وَثِيَابَكَ، وَالرُّجْزَ) وهي مفاعيل منصوبة مقدّمة على فعلها كما ورد في كتب المحدثين (ينظر: السامرائي ٩٠/٢، وجمال محمود أبو حسان ٢٢٦، وغادة البواب ٩٧، والبيانوني ١٠٠)، وذكر ابن عاشور انتصب (رَبِّكَ) على المفعوليّة وقدم على عامله لإفادة الاختصاص، ودخلت الفاء على (كَبِّرَ) إيذاناً بشرط محذوف إذ يكون (كَبِّرَ) جواباً له وهو شرط عام إذ لا دليل على شرط مخصوص وقُدّم المفعول به لتقدير الشرط؛ لأنّ تقديم المفعول قد ينزل منزلة الشرط، كقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (ففيهما فجاهد) يعني الأبوين، والتقدير: مهما يكن من شيء فكَبِّرَ رَبِّكَ (ينظر: ابن عاشور ٢٩٦/٢٩، ٢٩٥، ٢٩٥)، والأمر نفسه للآيات التالية لها (ثيابك، الرجز) إذ قدّمت للاهتمام به في الأمر (ينظر: ابن عاشور ٢٩٨/٢٩، والسامرائي ٩٠/٢، والصابوني ٤٧٤/٣، وعزيمة ١٧٢/٩).

وأيضاً قوله تعالى ﴿أَغْيِرْ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا﴾ (الأنعام ١٤)، وأيضاً قوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ (الأنعام ٤٠)، هنا قدّم الاسم على الفعل وهو (أغير الله) على (أتخذ، تدعون)، هنا أريد إنكار الاسم فقدّم الاسم وهنا موجّه إلى أن يكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً أو يدعي، ولو قدّم الفعل لتوجّه الإنكار إليه، وكان المعنى نفي حصوله، ولم يفد في المفعول ذلك المعنى الذي أفاده تقديم المفعول (ينظر: السيّد شيخون ٢٢، ٢١، والبيانوني ١١٦، والمسيري ٧٣، والمطعني ١٠٢/٢، وأحمد بدوي ٩١)، قال عبد القاهر الجرجاني: "وكان له من الحسن والمزيّة والفخامة، ما تعلم أنه لا يكون لو أحرّ فليل (قل اتّخذ غير الله ولياً) و (أتدعون غير الله) وذلك لأنّه قد حصل بالتقديم معنى قولك: (أكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً)؟... وذلك لأنّه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط، ولا يزيد على ذلك، فاعرفه" (الجرجاني ١٢٢، ١٢١)، إذ قدّم المفعول الأوّل للفعل (أتخذ) على الفعل والفاعل ليكون مالياً للاستفهام لأنّه هو المقصود بالإنكار لا مطلق اتّخاذ الولي، فالتقديم للاهتمام به وهو من جزئيات العناية بشأن المقدّم (ينظر: ابن عاشور ١٥٧/٧، ١٥٦)، ولا يكون الإنكار موجّهاً إلى اتّخاذ المولى وإنما موجّهاً أن يكون بمثابة أن يتخذ ولياً أو يدعي وهذا ما لا يرضى به عاقل، وأيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام ١٦٤)، فهنا التقديم أيضاً للاختصاص والعناية والاهتمام بمعنى نخضك وحدك بالعبادة (ينظر: أحمد مطلوب ١٧٢، والسامرائي ٨٨/٢)، وكذلك الحال نفسه بالنسبة للآية الكريمة ﴿أَبَشِّرْ مَنْ مَنَّا وَاحِدًا تَنْبِئُهُ﴾ (القمر ٢٤)، فهنا تقدّم المفعول (أبشراً) في الاستفهام الإنكاري، فإنّهم كانوا ينكرون أن يكون مبعوثاً من الله تعالى وإنّه ليس من البشر، ويرون أنّ الرسول يجب أن يكون ملكاً بدليل قولهم (ينظر: منير المسيري ٦٢٨) ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (إبراهيم ١٠)، فأكثر آيات القرآن الكريم جاءت لغرض الاختصاص في أسلوب التقديم والتأخير، فالتعبير القرآني أسلوب بديع يعرفه أهل العلم والذوق اختصّ به القرآن الكريم لأنّه كلام بليغ من الله سبحانه وتعالى.

وأيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر ٦٤)، ففي هذه الآية قد ورد تقديم المفعول به (غير الله) على فعله وهذا التقديم في الاستفهام الإنكاري كالأيات السابقة لها، فالدكتور فاضل السامرائي يقول أنّه قدّم للعناية والاهتمام به (ينظر: السامرائي ٨٨/٢، وعزيمة ١٧٣/٩)، وذهب الدكتور محمّد حسين أبو موسى إلى أنّه أولى بالتقديم دخول همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل؛ لأنّ الإنكار في اتّخاذ غير الله ولياً لا في اتّخاذ الولي فدخلت همزة على المفعول به المقدّم (ينظر: محمّد أبو موسى ٢٨٩)، وكلّ همزة استفهام تستعمل في معناها أو غيره كالإنكار والتعجب، إن وليها الفعل كان المقصود بمعناها وإن وليها الاسم كان هو المقصود أيضاً كما قال الدكتور مصطفى الصاوي (ينظر: الصاوي ٣٢).

٢. تقديم المفعول به على الفاعل:

في النقطة الأولى تحدثت عن تقديم المفعول به على الفعل وعرضتُ بعضاً من الآيات الكريمة التي تقدّم المفعول بها، والآن سوف أعرض الآيات التي يتقدّم بها المفعول به على الفاعل وأبين أهم الأسباب التي دعت إلى التقديم في كتب المحدثين، فجواز تقديم المفعول على الفاعل مرتبط بزوال اللبس؛ لأنّ خفاء الإعراب وغياب القرينة يجعلان اللبس واقعاً في التركيب فمتى ما توافر أحدهما رفع اللبس وجاز التقديم، فظهور الإعراب وتحديد دلالة التركيب عن طريق القرينة أمر يسهل جواز تقديم المفعول على الفاعل وذلك لزوال اللبس وانتقائه تماماً (ينظر: وعد دليان ٦٣)، فمن هذه الآيات:

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر ٢٨)، إذ وردت هذه الآية شاهداً على تقديم المفعول به على الفاعل (ينظر: المسيري ٩٦، وغادة البواب ٨٥، والسيّد شيخون ١٠٩)، ففي تقدّم لفظ الجلالة (الله) على الفاعل (العلماء) وفائدته أن يعلم الذين يخشون الله من بين عباده وهم العلماء دون غيرهم ولو أحرّ المفعول به لكان صحيحاً وهذا غير صحيح (ينظر: السيّد شيخون ١٠٩، ومحمود الصافي ٢٧١)، وحصر الفاعل بـ(إنّما) فوجب تقديم المفعول به على الفاعل؛ لأنّ المعنى: ما يخشى الله من عباده إلّا العلماء (ينظر: المسيري ٩٦، وغادة البواب ٨٥، ومحمود الصافي ٢٧١).

وهذا الكلام يؤيده ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) يقول: "إذا انحصر الفاعل أو المفعول بـ (إلّا) أو بـ(إنّما) وجب تأخيره وقد يتقدّم المحصور من الفاعل أو المفعول غير المحصور، إذا ظهر المحصور من غيره، وذلك كما إذا كان الحصر بـ (إلّا)، أمّا إذا كان الحصر بـ (إنّما) فإنّه لا يجوز تقديم المحصور؛ إذ لا يظهر كونه محصوراً إلّا بتأخيره، بخلاف المحصور بـ(إلّا) فإنّه يُعرف بكونه واقعاً بعد (إلّا) فلا فرق بين أن يتقدّم أو يتأخّر" (ابن عقيل ٤٥/٢)، وتقديم المفعول به هنا كما ذكر الألويسيّ لبيان الخاشين والإخبار بأنّ المقصود هم العلماء خاصة دون غيرهم ولو أحرّ لكان المقصود هو الله تعالى وحاشاه أن يكون كذلك (ينظر: الألويسي ١٩١/٢٢)، فالتقديم والتأخير يظهر دقّة بين الآية الكريمة وبين قوله تعالى ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب ٣٩)، فهذه قصرت خشية الرسل على الله بعكس الآية الأولى قصرت خشية العلماء على الله تعالى، وقد شاع عند العرب تقديم المفعول به على الفاعل واطّرد كثيراً في مذاهبهم، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً كالأية الكريمة (ينظر: عبد القادر حسين ٨٦، ٨٥).

وكما هو الحال أيضاً في قوله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (البقرة ١٢٤)، وجب هنا تأخير الفاعل وتقديم المفعول به فإنّه لو قدّم الفاعل قد اتّصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظاً (ينظر: السيّد شيخون ١٠٩)، إذ هذه إحدى المسوّغات التي وجب فيها تقديم الفاعل لأنّه لو تأخّر المفعول به لعاد الضمير على متأخّر لفظاً ورتبةً وهذا لا يجيزه النظام النحويّ (ينظر: غادة البواب ٨٣، والمسيري ٩٦، ومحمّد حماسة عبد اللطيف ١٤٥)، وما قاله ابن السراج (ت ٣١٦هـ) يؤيد ذلك إذ قال: "قال الله عزّ وجلّ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ هذه المسألة في جميع أحوالها لم تقدّم مضمرّاً على مظهرٍ إنّما بالمضمر بعد المظهر إذا استغثت عن إعادته، فلو قدّمت فقلت: (ضرب غلامه زيدا) تريد: ضرب زيدا غلامه، لم يجز؛ لأنك قدّمت المضمر على الظاهر في اللفظ والمرتبة لأنّ حقّ الفاعل أن يكون قبل المفعول، فإذا كان في موضعه وعلى معناه فليس لك أن تنوي به غير موضعه، إنّما تنوي بما كان في غير موضعه فافهم هذا فإنّ هذا الباب عليه يدور" (ابن السراج ٢٣٨).

وقال السمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ): "و(إبراهيم) مفعول مقدّم، وهو واجب التقديم عند جمهور النحاة؛ لأنّه متى ما اتّصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول وجبّ تقديمه لئلا يعود الضمير على متأخّر لفظاً ورتبةً. وهذا هو المشهور" (السمين الحلبيّ ٩٦/٢)، ونستدلّ من هذه الآراء أنّه قدّم المفعول به للاهتمام به، إذ كون الربّ مبتلياً معلوم، فإنّما يهتم السامع بمن ابتلي (ينظر: فاطمة بوكليخة ٨٦).

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال ٥٠)، في هذه الآية تقدم المفعول به (الذين كفروا) على الفاعل (الملائكة)، فذكر الدكتور فاضل السامرائي أنه قدم المفعول به؛ لأن السياق على الذين كفروا، فالمراد بيان حال هؤلاء الكفار عند الاحتضار، ولم يقدم الملائكة أي الفاعل؛ لأنه لا يتعلق غرض بذكرهم ولو قدم الملائكة لم يفد المعنى الذي جاءت من أجله الآية الكريمة من بيان حالة الذين كفروا وبيان عاقبتهم (ينظر: السامرائي ٥٦/٢)، وهذا الكلام على العكس من الآية السابقة إذ كما ذكرت قدم المفعول به وجوباً لأنه ضمير متصل واجب التقديم ولا يجوز تأخيره.

ومن التقديم والتأخير ما ورد في الآية الكريمة، قوله تعالى ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ (آل عمران ١٤٠)، إذ تقدم فيها المفعول به (القوم) على الفاعل (قرح) (ينظر: السامرائي ٥٥/٢، وتَمَام حَسَانَ ٢٧٩/٢)، إذ إن مدار تقديم المفعول به على الفاعل هو الاهتمام والعناية كما ذكر ذلك سيبويه وهو: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبد الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً في اللفظ... وهو عربي جيد كثير، كأنهم [إنما] يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعاً يهتمانهم ويعنيانهم" (سيبويه ٣٤/١)، فهذا هو مدار الاهتمام فالآية هنا نزلت مواساة للمسلمين في معركة أحد التي أصيبوا فيها بأذى شديد فأخبرهم أن القرح لم يصبهم وحدهم وإنما اعداءهم أيضاً، فقدم القوم لأن أصابة هؤلاء بأعينهم هو الذي يواسي المسلمين ويخفف عنهم الحزن (ينظر: السامرائي ٥٦/٢، ٥٥)، وذكر الدكتور عبد الله حمود العاني أن في هذا التقديم غرضين: لفظي ومعنوي، أما اللفظي فيتمثل في أن تقديم المفعول جاء لمناسبة جملة الجواب مع جملة الشرط التي تقدم فيها المفعول، فضلاً على أن الفاعل مؤخراً أحسن منه مقدماً لما فيه من تناسب وتحقيق رأس الآية بمعنى تحقيق الفاصلة القرآنية أفضل مما لو تأخر المفعول، أما الغرض المعنوي فيرجع إلى تقديم المفعول به (القوم) الكافرين تعجلاً بذكرهم وما مسهم من أذى وقرح و مواساة للمؤمنين، فساوى بينهما (ينظر: عبد الله العاني ٢٩).

وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الانعام ١٥٨)، ذكر تمام حسان هنا أنه وجب تقديم المفعول به (نفساً) على الفاعل (إيمانها)؛ لأن الفاعل لو تقدم لعاد الضمير المتصل على متأخر لفظاً ورتبةً، والفاعل في هذه الآية وضع في موضع لا يمكن معه تقديم أو تأخير مع فصل بين المفعول به وصفته، أما عدم إمكان التقديم فلما مر من عود الضمير على متأخر، أما التأخير مع الفصل الذي يأتي الفاعل بحسبه بعد انقضاء صفة المفعول به (نفساً) فإنه سيجعل الفاصل بين الفعل والفاعل من الطول بحيث تضعف العلاقة الإسنادية والسياقية بين الفعل والفاعل، فيكون التركيب على النحو الآتي: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً إيمانها)، فهذا التأويل يضعف الارتباط بين الفعل والفاعل، ومن ثم نستطيع القول إنه لا يمكن أن نجد تغيير في ترتيب الكلام في هذه الآية (ينظر: تمام حسان ٩٤)، وذهب الدكتور محمد علي الصابوني إلى أن هذا النوع من الكلام يسمى باللف، وأصل الكلام يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد، إلا أنه لفت الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً واختصاراً (ينظر: الصابوني ٤٣٣/١، ومحمود الصافي ٣٤٣/٤).

ومن الآيات الأخرى قوله تعالى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه ٦٧)، في هذه الآية نوعين من التقديم، أولاً تقديم الاسم وهو تقديم المفعول به على الفاعل وهو (خيفة) على (موسى) وقيل هنا التقديم جاء لمرعاة الفاصلة القرآنية، والتقديم الثاني هو تقديم شبه الجملة (في نفسه) على الفاعل والمفعول به ويجب أن تكون الآية (فأوجس موسى في نفسه خيفة) (ينظر: أحمد بدوي ٩١، والسيد شيخون ١١٤، وجمال محمود أبو حسان ٢٢٢، والمسيري ٨٩)، وقدم شبه الجملة للفاصلة لأن قبله الآية الكريمة ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه ٦٦)، وبعده ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه ٦٨)، فاقترن

هذا التعبير بالآية السابقة واللاحقة لها، وهذه إحدى وسائل تأثيره في النفس وللمحافظة على الموسيقى (ينظر: السيد شيخو ١١٤، وأحمد بدوي ٩١، والمطعني ٩٩/٢).

قال البقاعي (ت ٨٨٥هـ): "كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق، فقال لذلك لا لمراعاة الفواصل (في نفسه) أي خاصة [وقدم ما المقام له والاهتمام به فقال] خفية موسى، مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر وللنظر إلى الطبع عبر بالنفس لا بالقلب مثلاً" (البقاعي ٣٠٧/١٢)، وذكر ابن الأثير بأن التقديم هنا هو لحسن مراعاة النظم، إذ ليس كل تقديم لما مكانه التأخير هو للاختصاص (ينظر: ابن الأثير ٢١٢/٢)، وقال الدكتور جمال محمود أبو حسان في كتابه رداً على هذه الأقوال: "وقد لاح للباحث أن التقديم هنا للتعجب مما كان منه، فإن موسى (عليه السلام) قد رأى قبلاً انقلاب العصا حيّة، وأعطاه الله من المعجزات الباهرات والتطمينات الظاهرات ما كان لأجله حرياً به أن لا يستشعر الخوف، فكان محل الغرابة هو أن يحصل منه الإيجاس خوفاً بعد كل ما تقدم، لهذا . والله أعلم . قدم المفعول" (جمال محمود أبو حسان ٢٢٣).

قال الدكتور عبد الجواد محمد طابق عن هذه الآية: "وأيسر ما يمكن أن يقال في ذلك أن تقديم ما قدم للتشويق إلى المؤخر ليمتكن في النفس، وهذا تعليل يغلب عليه طابع العموم، ولعل إبعاد الفاعل وهو موسى (عليه السلام) عن الفعل وهو (أوجس) يُشعر بأن إيجاس هذا الخوف كان ينبغي ألا يكون من موسى (عليه السلام)؛ لأنه مؤيد من ربه... ولعل مما يعضد ذلك أيضاً تقديم المجرور (في نفسه) على المفعول (خفية) للاهتمام بإبراز تأكيد كون هذه الخفية في نفسه أولاً؛ لأن إظهارها لا يليق بمقام الأنبياء في هذا الموقف، والإيجاس وإن كان يُشعر بكونها في نفسه، لكن حرص النظم الكريم على التصريح بها؛ ليؤكد كونها في نفسه، وولفت إلى الجانب النفسي الذي كان عليه موسى في هذا الموقف العصيب" (عبد الجواد محمد ١٨٤، ١٨٣).

وذكرت الدكتورة رجاء عيد عن هذه الآية بقولها: "فالتقديم هنا خروج عن النسق إلى نسق ذي دلالة فنية خاصة نحسها في بيان الأثر النفسي في الشعور بالخوف، كأنه قد بلغ من ضخامته وقوته أن تضاعف بجانبه من كان فيه ذلك الأثر وهو (موسى)" (رجاء عيد ٧٩).

ويبدو أن التقديم جاء لمراعاة الفاصلة والتعجب أيضاً حتى لا يستشعر موسى (عليه السلام) الخوف، فالتقديم والتأخير يرجع إلى فنية الأديب وهذه الفنية متشابكة مع حسه الشعوري واللاشعوري، وهي التي تدخل في التركيب اللغوي للعبارة.

٣. تقديم الحال على صاحبها:

تتقدم الحال على صاحبها بأن تقع بين العامل وصاحب الحال، وقد يأتي صاحب الحال مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً، وقد يأتي مجروراً بحرف جر زائد، وهناك شواهد من القرآن الكريم تدل على تقديم الحال على صاحبها، فمن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (سبا ٢٨)، في هذه الآية تقدمت الحال على صاحبها المجرور، وكررت الدكتورة غادة أحمد البواب إن النحاة اتفقوا على جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر زائد، واختلفوا في تقدمها على صاحبها المحرور بحرف جر أصيل، فهو ممنوع عند البصريين، وسبب المنع هو أن تعلق العامل بالحال تال لتعلقه بصاحبه، فحقه إذا تعدى لصاحبه بواسطة أن يتعدى إليه بتلك الوساطة، لكن منع من ذلك أن الفعل لا يتعدى بحرف الجر إلى شئين فجعلوا عوضاً من الاشتراك في الوساطة التزام التأخير (ينظر: غادة البواب ١٠٠)، لكن الكوفيين جوزوا تقدم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصيل واستدلوا بذلك بمجموعة من الآيات القرآنية ومنها الآية

الكريمة، بمعنى أنه تقدّمت (كافّة) على صاحبها المحرور (للناس)، ولكنّ المانعين لهذا يرون أنّ الحال من الكاف في (أرسلناك)، حتّى لا يكون في ذلك تقديم (ينظر: المصدر نفسه ١٠١).

وذهب الدكتور محمود منير المسيري إلى ما ذهبت إليه الدكتورة غادة البوّاب من أنّ الحال تقدّمت على صاحبها في هذه الآية، وهذه إحدى الحالات التي من الواجب تقديم الحال على صاحبها، وقد استدلت بشاهد شعريّ أيضاً، فقال الشاعر (ينظر: الاشمونيّ ٢٤٩/١، والمسيريّ ٩٩):

مشغوفةً بك قد شغفت وإنّما حمّ الفراق فما إليك سبيلٌ

ف(مشغوفةً) حال كما وضّحها الدكتور المسيريّ تقدّمت على صاحبها (بك) الجار والمجرور (ينظر: المسيريّ ٩٨، ٩٩)، وأيضاً قول الشاعر (ينظر: الاشمونيّ ٢٤٩/١، وغادة البوّاب ١٠١، وعبد العال سالم مكرم ٢٣٥/١):

تسليّث طرّاً عنكم بعد بينكم بذراكم حتّى كأنكم عندي

ف(طرّاً) هي الحال تقدّمت على صاحبها المجرور (عنكم)، فالمجرور بحرف مفعول به في المعنى، فلا يمتنع تقديم حاله عليه كما لا يمتنع تقديم حال المفعول به (ينظر: غادة البوّاب ١٠١).

وكذلك الحال في قوله تعالى ﴿خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ (القمر ٧)، في بداية الكلام ذكرت الدكتورة غادة أحمد البوّاب إنّ الحال تتقدّم على صاحبها سواء أكان مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً، وفي هذه الآية جاء صاحب الحال مرفوعاً، فالكوفيون منعوا تقديم الحال على صاحبها إن كان ظاهراً، فعندما تقول: جاء زيدٌ ركباً، لا يجوز أن تقول: جاء ركباً زيدٌ؛ لأنّهم يشترطون في صاحب الحال أن يكون مضمراً وليس ظاهراً عند تقديمها (ينظر: غادة البوّاب ٩٩)، وينكر الطاهر بن عاشور بأنّ (خَشَعًا أَبْصَارَهُمْ) انتصب على الحال من الضمير المقدر في قوله تعالى (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ)، وإمّا من ضمير (يخرجون) مقدّمة على صاحبها (ينظر: ابن عاشور ١٨٧/٢٧)، فالحال تتقدّم على عاملها إن كان فعلاً متصرفاً، أو وصفاً يشبهه كما في الآية الكريمة التي ذكرت (ينظر: محمود الصافي ٦٧/١٤).

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، فبعد دراسة المقاربات النحويّة في مظاهر التقديم والتأخير في المنصوبات وعرض الآيات الكريمة التي تخصّ موضوع الدراسة، لا بدّ لي أن أقف على أهمّ النتائج التي توصلت لها من خلال هذا البحث، إذ كشفت الدراسة المقاربات النحويّة عند المحدثين من خلال عرض آرائهم النحوية التي تخصّ علّة التقديم والتأخير في بعض المنصوبات، وإلى أهميّة علل التعبير القرآنيّ النحويّة من خلال الآيات الكريمة التي تخصّ موضوع الدراسة، وأشارت الدراسة إلى أنّ المفعول به يتقدّم كثيراً على الفاعل والفاعل فمتى تقدّم المفعول به في الكلام قد اختصّ بفائدة لا تكون مع التأخر، فلذلك جاء التقديم والتأخير في كلام الله (عزّ وجلّ) وهو القرآن الكريم، إذ جاء على صور متعدّدة كما هو مذكور في هذا البحث، كشفت الدراسة أنّ التقديم جاء على صور متعدّدة، منها تقديم المفعول على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل ووراء كلّ تقديم غرض يتعلّق بالمعنى، بيّنت الدراسة إلى أنّ أهميّة التقديم والتأخير تكمن في مرونة العربيّة وقوّة بيانها ودقّة التعبير فيها والدلالة على الفصاحة وتوسيع القدرة على التخاطب وقدرتها وتوقّفاً على غيرها من اللغات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تد: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط ٢٠٠٨م.
- أثر النحاة في البحث البلاغي: د. عبد القادر حسين، دار غريب. القاهرة، ١٩٩٨م.
- أساليب بلاغية: د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات. الكويت، دار القلم، ط ١، ١٩٨٠م.
- أسرار البيان في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة (محاضرات).
- أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: د. محمد السيد شيخون، دار الهداية. القاهرة، (د.ت).
- الأصول في النحو: أبو بكر بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تد: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط ٤، ٢٠١٥م.
- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤هـ)، تد: صدقي محمد جميل، دار الفكر. بيروت، ٢٠١٠م.
- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني: د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب. القاهرة، (د.ت).
- البلاغة العالية: عبد المتعال الصعيدي، تد: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز، ط ٢، ١٩٩١م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها: د. عبد الرحمن بن حبنكة الميداني، دار القلم. دمشق، الدار الشامية. بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية تأصيل وتجديد: د. مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف. الاسكندرية، ١٩٨٥م.
- بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية: د. عفت الشراوي، دار النهضة العربية. بيروت، ١٩٨١م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، (د.ت).
- البلاغة فنونها وأفنانها: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان. إربد، ١٩٨٩م.
- البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، دار نوبار للطباعة. القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م.
- بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب. القاهرة، ٢٠٠٣م.
- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: د. تمام حسّان، عالم الكتب. القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م.
- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: د. تمام حسّان، عالم الكتب. القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م.
- التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. عبد الله الجبوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية. دمشق، ط ١، ٢٠٠٦م.
- التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، دار الزهراء. إيران، ط ١، ٤٣٩م.
- تفسير التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر. تونس، ١٩٨٤م.
- التقديم والتأخير في المثل القرآني: د. غادة أحمد قاسم النوباب، مطبعة السفير. عمان، ٢٠١١م.
- تطبيقات نحوية وبلاغية: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م.
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة: محمود صافي (ت ١٩٨٥م)، دار الرشيد. دمشق، مؤسسة الإيمان. بيروت، ط ٣، ١٩٩٥م.
- جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تد: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجبل، ط ٢، ١٩٨٨م.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة. القاهرة، ط ١، ١٩٩٢م.
- الذر المصون وفي علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمنين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تد: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم. دمشق، (د.ت).
- دراسات في البلاغة العربية: د. عبد العاطي غريب عالم، جامعة قازوينس. بنغازي، ط ١، ١٩٩٧م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عزيمة، تد: محمود محمد شاکر، دار الحديث. القاهرة، (د.ت).
- دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية: د. عبد الجواد محمد طبق، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٣م.
- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية: د. منير محمود المسيري، مكتبة وهبة. القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م.

- الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية (دراسة في بيان القرآن الكريم وإعجازه): د. جمال محمود أبو حسان، دار الفتح للدراسات والنشر . عمّان، ط١، ٢٠١٠م.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد الفاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي . مطبعة المدني، (د.ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، (د.ت).
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الهداية . أربيل، ط٢، (د.ت).
- شرح الاشموني بحاشية الصبان على ألفية ابن مالك: نور الدين علي بن محمد الشافعي الاشموني (ت ٩٢٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي . بيروت، ط١، ١٩٥٥م.
- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم . بيروت، ط٤، ١٩٨١م.
- علم المعاني: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية . بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- فلسفة البلاغة بين التقنيّة والتطور: د. رجاء عيد، منشأة المعارف . الاسكندرية، ط٢، (د.ت).
- في نحو اللغة وتراكيبها: د. خليل أحمد عميرة، عالم المعرفة . جدّة، ط١، ١٩٨٤م.
- قواعد التقديم والتأخير عند المفسرين: عمر بن عبد المجيد البيانوني.
- الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي . القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمّار . عمّان، ط٣، ٢٠٠٣م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تح: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر، ط٢، (د.ت).
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر . عمّان، ط١، ٢٠٠٠م.
- مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: د. تمام حسان، عالم الكتب . القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- من أسرار التعبير القرآني صفاء الكلمة: د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ . الرياض، (د.ت).
- من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي، تح: داليا محمد إبراهيم، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والصور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي . القاهرة، ١٩٨٤م.

الرسائل والأطاريح

- البنى النحوية وأثرها في المعنى: أحمد عبد الله حمود العاني (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد . كلية الآداب، ٢٠٠٣م.
- التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية (سورة البقرة نموذجاً): فاطمة بوكليخة (رسالة ماجستير)، جامعة الدكتور مولاوي الطاهر بسعيدة، ٢٠١٩م.
- التقديم والتأخير عند النحاة وشواهداها من القرآن الكريم: أحمد فرجي (رسالة ماجستير)، جامعة تلمسان . الجمهورية الجزائرية، ١٩٩٣م.

البحوث

- مظاهر التعليل التداولي في النحو العربي: أ.م.د. وعد دليان أنور، مجلة جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد ٤٥، الجزء ١، ٢٠٢١م.